الفصل الأول

فلسفة الحضارة وعلاقتها بالمفاهيم الأخرى

- تمهيد
- أولًا: الفلسفة
- ثانيًا: الحضارة
- ثالثًا: الفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية
- رابعًا: العلاقة بين فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ

١- فلسفة الحضارة

٢- تاريخ الحضارة

٣- فلسفة التاريخ

تمهيد

تعد قضية الحضارات وما تطرحه من أسئلة تثير عديد من المفكرين والباحثين من أهم القضايا المطروحة على الساحة العالمية خاصة بعد النهضة الغربية الحديثة، بل إن شئت فقل بعد أن أثار بعض مفكري الحضارة الغربية الحديثة مسألة انفراد حضارتهم الغربية وتقدمها الهائل ومحاولتهم بخس حقوق الحضارات القديمة أو سلبها، متناسي أهل تلك الحضارة فضل هذه الحضارات السابقة عليها فيما وصلت إليه وفيما وصل إليه الغرب عمومًا من تقدم، وحضارة، ورقي. تلك الحضارة التي تشدق بعض منتميها بأنها آخر الحضارات، أو الحضارة التي لا مثيل لها، حيث أخذ بعضهم يقارن بينها وبين الحضارات السابقة من حيث عوامل النشأة والازدهار ثم الاضمحلال والانهيار، أو من حيث ما في هذه الحضارة من علوم وثقافات وأيديولوجيات لم توجد عند من سبقتها، في حين حمل بعضهم الآخر على عاتقة مهمة الدفاع عن الحضارة الغربية والزود عنها بشتى الطرق الصحيحة وغير الصحيحة.

إننا الآن نعاني عناءً شديدًا من تضليل الحقائق، وتزييف التاريخ، وبخس دور الحضارات القديمة وإهداره فيما يتعلق بما وصل إليه الغرب، حتى إننا أصبحنا لا نسمع سوى ما فعلته الحضارة اليونانية ممثلة في فلاسفتها سقراط، وأفلاطون وأرسطو، والحضارة الغربية الحديثة ممثلة فيما فعله علماؤها التجريبيون وفلاسفتها فقط، حتى يكاد بعضنا يظن أن العالم منذ بدء الخليقة وحتى اليوم لم يأتِ إلا بحضارتين هما: الحضارة اليونانية القديمة، والحضارة الغربية الحديثة. وكأن الحضارات الأخرى: كالحضارة الإسلامية، وحضارات الشرق القديم،... وغيرها لا وجود لها، ولا فضل لها على تاريخ الحضارات اللاحقة لها.

من أجل ذلك أردنا أن نلقي الضوء على قضية الحضارات، بداية من التعريف بها، وبفلسفة الحضارة، وتاريخ الحضارة، وعوامل نشأة الحضارات، وعوامل تقدمها وازدهارها، وعوامل تشرنقها أو اضمحلالها أو انهيارها، لتوضيح ما للحضارات من إيجابيات وسلبيات.

أولًا
معنى الفلسفة

ما المقصود بالفلسفة؟

في الفكر اليوناني؛ فإن الأصل اللغوي لكلمة فلسفة *Philosophia* وهي كلمة يونانية، مركبة من مقطعين «فيلو *Philo*» ومعناه «محبة» أو «سعي إلى»، و«سوفيا *sophia*» ومعناه «حكمة» أو «معرفة»، ومن ثم فإن الفلسفة وفقًا لمعناها الاشتقاقي تعني «محبة الحكمة» أو «السعي إلى المعرفة»[١].

وهناك من يرى أن الحكيم هو محب الحكمة وأن الفيلسوف هو صديق الحكمة، قال بهذا الرأي فيثاغورث قديمًا، والدكتورة هدى الخولي حديثًا.

أما عن المعنى الاصطلاحي للفلسفة، فقد اختلف باختلاف المذاهب والعصور؛ فقد حصر «سقراط» مثلًا مهمة الفلسفة في دراسة الحياة الأخلاقية، في حين جعلها «أفلاطون» و«أرسطو» دراسة للكون وكل مناحي الحياة الإنسانية ومحاولة الوصول للحقيقة. أما في العصور الوسطى فقد اهتمت بالبرهنة على صحة القضايا الدينية، كوجود الله، وخلود النفس. وفي العصر المعاصر، رأى «وليم جيمس» أن هدف الفلسفة هو تحقيق المنفعة العملية فحسب، في حين جعلها «كارل ماركس» العمل على تغيير العالم، كما اعتبرتها الوضعية المنطقية تقتصر على المعرفة العلمية، كما ظهرت إلى جانب هذه المذاهب مذاهب فلسفية أخرى كثيرة كانت جميعها تسعى إلى تعريف الفلسفة تعريفًا خاصًا[٢].

أما عن معنى الفلسفة في الفكر العربي والإسلامي؛ فقد عرفها «الكندي» بأنها:

---

(١) حسين علي: «ما هي الفلسفة»، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٧، ص١٧.

(٢) حسين علي: المرجع السابق، ص٢٠، ٢١.

«علم الأشياء الأبدية الكلية أنياتها ومائياتها وعللها بقدر طاقة الإنسان»[١]. والأمر نفسه، ينطبق على العديد من فلاسفة الإسلام؛ فلم يخرج تعريف الفلسفة عن هذا الإطار اليوناني فالكندي و«الفارابي» و«ابن سينا» و«ابن رشد» يُجمعون على كون الفلسفة هي علم المبادئ الأولى والكُلية للوجود. السبيل لهذه المعرفة الميتافيزيقية هو العقل، وإذا ما اصطدم العقل بالنقل لزم تقديم العقل، وقد تأثروا جميعًا بأرسطو ومصنفاته التقليدية بخصوص العلوم، إذ تأتي الفلسفة على رأس الهرم العلمي.

على الرغم من هذا، إلا أنه وجد في المقابل بعض فلاسفة الإسلام الذين أخذوا منحى مغايرًا عن الانصياع للفكر اليوناني كما فعل «الغزالي» مثلًا. وبالمثل فقد تعددت الرؤى حول تعريف الفلسفة في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، كل حسب انطلاقاته ومذهبه الفكري.

(١) الكندي: الرسائل الفلسفية، تحقيق، محمد عبدالهادي أبو ريدة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠، ص١٧٣.

ثانيًا

مفهوم الحضارة *civilization*

اختلف المفكرون حول تعريف الحضارة ولم يتفقوا على تعريف جامع لها فكل مفكر يعرِّفها حسب منظوره إليها؛ فمنهم من يعرفها من منظور ديني، أو من منظور ثقافي وفكري، أو من منظور اجتماعي، أو منظور سياسي، أو من منظور اقتصادي، أو منظور عمراني،.... الخ.

الحضارة: هي الجهد البشري في شتى الميادين وهي شاملة لكثير من جوانب الحياة ومحيطة بها.

الحضارة في اللغة العربية:

من الفعل «حضر» على وزن قعد، يقال: حضر الغائب حضورًا؛ أي قدم من غيبته، وحضرت الصلاة فهي حاضرة، و«الحضر» خلاف البدو، وبالنسبة إليه «حضري»: أقام بالحضر، و«الحضارة» سكون الحضر، والحَضَرة والحَضْرة والحاضرة: خلاف البادية وهي المدن، والقرى، والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار»[1]

تعد كلمة حضارة الترجمة الشائعة للكلمة الإنجليزية *civilization* والتي يعود أصلها إلى جذور عدة ففي اللغة اللاتينية بمعنى المدنية *city citizen* بمعنى ساكن المدينة، وهو ما يعرف به المواطن الروماني. وقد عرَّف أحد الباحثين الحضارة برقة طباع شعب، وعمرانه، ومعارفه، ومراعاة الفائدة العلمية العامة. وقد عرفها بعضهم على أنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي. وهناك من جعل المفهوم مرادفًا لمفهوم الثقافة، أو قاصرًا على نواحي التقدم مثل الألمان. في حين جعله المفكرون الفرنسيون شاملًا لكل أبعاد التقدم[2].

---

(١) حسن باشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٢، ص١٥.

(٢) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية، عن موقع نواة الإلكتروني، ٢٠١٥.

وقد ذهب ابن خلدون حين تحدث عن الحضارة إلى اعتبارها مشتقة من الإقامة في الحضر بخلاف البادية.

هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفاه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتًا منحصرًا[١].

الحضارة عند ول ديورانت:

هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون[٢].

ويتداخل مفهوم الحضارة مع المدنية في كثير من الأذهان والأحيان فيصبح لهما نفس المعنى في الاستعمال أو المدلولات. فالمجتمع المدني والمجتمع الحضري تعبيران عن مجتمع مرتبط بالمكان والزمان تنظمه قوانين وضوابط معلومة ومتفق عليها[٣].

لا شك أن الحضارة كونية مهما تنوعت وتعددت أماكنها وشعوبها، ومهما تقاربت أو تباعدت في الزمان والمكان، فقد بزغت تحت سماء الكرة الأرضية، وهي امتزاج لحلقات بنائية متصلة يكمل بعضها الآخر فالإنسان اكتشف النار وصنع الفخار المشوي ليظل حيًا وباقيًا، كما صنع أدواته وآلاته وزرع الأرض ليوفي الحاجة الحياتية وللتوافق مع الطبيعة ولتسهيل طرق العيش، فقد بنوا هذه الحضارة بالمشاركة الجماعية. وقد قامت الحضارات التاريخية على أكتاف العبيد (الحضارة الإغريقية، الرومانية، الفرعونية...إلخ) وحتى الإنسان البدائي ترك أدواته وآلاته الحجرية التي لا تزال آثارًا بيننا حتى اليوم، وهذه الآثار الحجرية والرسوم الجدارية في الكهوف تدل على أن الإنسان فنان بطبعه وصانع بعقله[٤].

---

https://nawaat.org/portail/2015/08/19/.

(١) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، بيروت، دار الفكر ٢٠٠١، ص٤٦١.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الأول، بيروت، تونس، دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت، ص٣.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص٣.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص٣.

انقسم الباحثون إلى قسمين في مدلول لفظ الحضارة:

أ- **فريق يرى الحضارة:** تعني مجموعة المظاهر الفكرية والمادية في المجتمع.

ب- **وفريق يرى الحضارة:** تعني المظاهر الفكرية فحسب في المجتمع، ومع القول بأن الفصل الحاد والتفرقة الدقيقة بين مدلولات الألفاظ في المجال الاجتماعي أمر بعيد التحقيق فلا بد من التماس مدلول لمصطلح الحضارة يتوخى فيه المطابقة للواقع قدر المستطاع[١].

إن القول بوجود أمة ووجود مجتمع يعني بالضرورة وجود ما يميز الأمة عن غيرها من الأمم ووجود ما يميز المجتمع عن غيره من المجتمعات، رغم التشابه الذي يكون بين الأمم والمجتمعات، وكذلك لا يضير التمايز بين الأمم تسرب بعض الظواهر الاجتماعية من أمة إلى أمة، ومن مجتمع إلى مجتمع، وظهورها في المجتمع الجديد جنبا إلى جنب مع العناصر الاجتماعية الأولية فيه، ما دام جسم المجتمع الكلي يظل محتفظا بسماته العامة التي تحفظ المجتمع وعلى الأمة شخصيتها التي تميزها عن غيرها من الأمم والمجتمعات، وإذا أمعنا النظر لاستكشاف القواعد الأساس التي تظل على الدوام، تمد شخصية الأمة بالرواء وتهبها القوة والبقاء، نجدها ماثلة في طريق الأمة في الحياة، وهي طريق تشكل عقيدة الأمة، قاعدتها وتشكل القوانين والأنظمة والأفكار القائمة على هذه العقيدة فروعها، وعليه:

فإن حضارة أية أمة هي مجموعة المفاهيم الموجودة عند الأمة حيال الكون والإنسان والحياة ـ وبمعني آخر عقيدة الأمة -وما ينبثق عن هذه المفاهيم- أي عن العقيدة من قوانين وأنظمة وأفكار تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد الناس وجماعاتهم في المجتمع وما يتصل بهم من مصالح تعود عليهم، فعقيدة الأمة وما ينبثق عنها من حلول لمشكلات الأمة على شكل قوانين وأنظمة وأفكار، هي التي تمنح الأمة شخصيتها الحضارية المتميزة، ويمكن أن تكون برأينا مدلول مصطلح لفظ الحضارة، وعند تبني هذا المدلول للفظ الحضارة يجد المرء سهلا معرفة ما بين الحضارات الغربية والمادية والإسلامية من فروق ويدرك سرّ التمايز بينها[٢].

---

(١) محمد ضيف الله بطانية: مفهوم الحضارة، بتاريخ: ٢٨/ ١٠/ ١٤٣٠هـ، موقع الخطباء، https://khutabaa.com/.

(٢) محمد ضيف الله بطانية: مفهوم الحضارة.

على أن ذلك لا يعني إسقاط العلاقة بين المظاهر المادية والمظاهر الفكرية في حياة الأمة وحضارتها، كما لا يعني نفي التأثير المتبادل بينهما سلبًا وإيجابًا، فقد تكون المفاهيم والأفكار لدى أمة من الأمم على درجة من المحدودية والضيق الذي يعيق تقدم المظاهر المادية ويربك البحث والاستقصاء في طبيعة الأشياء وخصائصها، ويجعل معه وسائل الانتفاع بالحياة ضعيفة بدائية، والنكد الذي تورثه المفاهيم والأفكار في هذه الحالة لا سبيل إلى إخفائه، وإحساس الناس بجرمه ومساوئه لا يدفع بالتأويلات[١].

ومن جهة أخرى فقد تطورت المظاهر المادية كثيرًا بتقدم العلم وقضاياه وصرنا نشهد ذلك في مجالات العمران والاتصالات وغيرها، وجني الفكر من ذلك خيرًا عميمًا، وانتفعت الأنظمة والأفكار والمفاهيم إنْ في ميدان السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية، أو في مجال المحاكم والإدارة والأمن ومؤسسات التعليم بتقدم العلم وثماره من المظاهر المادية كثيرا، وصار بإمكان الفكر أن يجد، إذا أحسن استعمال عطاء العلم، صورته في الحياة العملية أوضح وأكثر امتدادًا، ومع وجود هذا التأثير المتبادل بين المظاهر الفكرية والمادية فإن هناك نكهة خاصة، وشخصية معينة، تتميز بها حضارة كل أمة دون غيرها، وتتمثل بما عند الأمة من عقيدة وما ينبثق عنها من الأفكار والأنظمة[٢].

على أن ذلك لا يعني إسقاط العلاقة بين المظاهر المادية والمظاهر الفكرية في حياة الأمة وحضارتها، كما لا يعني نفي التأثير المتبادل بينهما سلبا وإيجابا، فقد تكون المفاهيم والأفكار لدى أمة من الأمم على درجة من المحدودية والضيق الذي يعيق تقدم المظاهر المادية ويربك البحث والاستقصاء في طبيعة الأشياء وخصائصها، ويجعل معه وسائل الانتفاع بالحياة ضعيفة بدائية، والنكد الذي تورثه المفاهيم والأفكار في هذه الحالة لا سبيل إلى إخفائه، وإحساس الناس بجرمه ومساوئه لا يدفع بالتأويلات.

ومن جهة أخرى فقد تطورت المظاهر المادية كثيرًا بتقدم العلم وقضاياه وصرنا نشهد ذلك في مجالات العمران والاتصالات وغيرها، وجني الفكر من ذلك خيرًا عميما، وانتفعت الأنظمة والأفكار والمفاهيم إنْ في ميدان السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية، أو في مجال المحاكم والإدارة والأمن ومؤسسات التعليم بتقدم العلم وثماره من المظاهر

(١) محمد ضيف الله بطانية: مفهوم الحضارة.

(٢) المرجع نفسه.

المادية كثيرًا، وصار بإمكان الفكر أن يجد، إذا أحسن استعمال عطاء العلم، صورته في الحياة العملية أوضح وأكثر امتدادًا، ومع وجود هذا التأثير المتبادل بين المظاهر الفكرية والمادية فإن هناك نكهة خاصة، وشخصية معينة، تتميز بها حضارة كل أمة دون غيرها، وتتمثل بما عند الأمة من عقيدة وما ينبثق عنها من الأفكار والأنظمة[1].

(١) محمد ضيف الله بطانية: مفهوم الحضارة.

ثالثًا

الفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية

الفرق بين الحضارة *Civilization* والثقافة *Culture*:

أصل كلمة الحضارة عند الأوروبيين: «كلمة الحضارة مأخوذة من لفظين يستعملان للدلالة على معنى الحضارة وهما: *Culture & Civilization* فبالنسبة: *culture*؛ مأخوذة من اللاتينية *culurune* من فعل *colere* بمعنى حرث ونمى، وفي العصور القديمة الوسطى تطلق على تنمية الأرض ومحصولها»[١].

يقول علي عزت بيغوفتش[٢] عن الفرق بين الثقافة والحضارة -حيث يتصور أغلب الناس أنهما مصطلحين مترادفين، بينما لدى بيغوفتش وجهة نظر أخرى تمامًا-: «هناك خلط غريب بين فكرة الثقافة وفكرة الحضارة. الثقافة تبدأ «بالتمهيد السماوي» بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق وفلسفة، وستظل الثقافة تُعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكل شيء في إطار الثقافة إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان. تتميز الثقافة بهذا اللغز، وتستمر هكذا خلال الزمن في نضال مستمر لحل هذا اللغز[٣].

أما الحضارة، فهي استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين

---

(١) حسن باشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص١٩.

(٢) علي عزت بيجوفيتش: فيلسوف ومفكر ألف العديد من الكتب ذات الأثر على جيل كبير من المفكرين المعاصرين أبرزهم عبد الوهاب المسيري. لعل أهم كتب بيغوفتش التي سيخلدها له التاريخ هو كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب).

(٣) عبد الرحمن الشيخي: الفرق الدقيق بين الثقافة والحضارة كما يراه بيغوفتش في الحضارة الغربية، عن موقع ساقية، *http://www.saqya.com* انظر: علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة، محمد يوسف عدس، بيروت، مؤسسة العلم الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

الإنسان والطبيعة. هذا الجانب من الحياة يختلف عن الحيوان فقط في الدرجة والمستوى والتنظيم. هنا لا نرى إنسانًا مرتبكًا في مشاكله الدينية، أو مشكلة «هاملت» أو مشكلة «الإخوة كرامازوف» إنما هو عضو المجتمع الغُفل، وظيفته أن يتعامل مع سلع الطبيعة ويغير العالم بعمله وِفقًا لاحتياجاته.

الثقافة: هي تأثير الدين على الإنسان أو تأثير الإنسان على نفسه، بينما الحضارة هي تأثير الذكاء على الطبيعة أو العالم الخارجي. الثقافة معناها «الفن الذي يكون به الإنسان إنسانًا»، أما **الحضارة** فتعني: «فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعةً دقيقة»، الثقافة هي «الخلق المستمر للذات». أما الحضارة، فهي «التغيير المستمر للعالم». وهذا هو تضاد: الإنسان والشيء، الإنسانية والشيئية[1].

الدين، والعقائد، والدراما، والشعر، والألعاب، والفنون الشعبية، والقصص الشعبية، والأساطير، والأخلاق، والجمال، وعناصر الحياة الأساسية والقانونية التي تؤكد على قيم الشخصية، والحرية، والتسامح، والفلسفة، والمسرح، والمعارض، والمتاحف، والمكتبات - يمثل هذا كله الخط المتصل للثقافة الإنسانية، الذي بدأ مشهده الأول في السماء بين الله والإنسان. إنه «صعود الجبل المقدس، الذي تظل قمته بعيدة المنال، سيرًا في الظلام بواسطة شمعة مضيئة يحملها الإنسان».

حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة القوة الذاتية التي تُكتسب بالتنشئة، أما الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم. فالعلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي إلى الحضارة. وسائل الحضارة هي الفكر واللغة والكتابة. وكل من الثقافة والحضارة ينتمي أحدهما للآخر كما ينتمي عالم السماء إلى هذا العالم الدنيوي، أحدهما «دراما» والآخر «طوبيا»[2].

الحضارة هي استمرار للتقدم التقني لا الروحي، والتطور «الداروينى» استمرارٌ للتقدم البيولوجي لا للتقدم الإنساني. تمثل الحضارة تطور القوى الكامنة التي وُجدت في آبائنا الأوائل الذي كانوا أقل درجة في مراحل التطور. إنها استمرار للعناصر الآلية- أي العناصر غير الواعية التي لا معنى لها في وجودنا. ولذا، فإن الحضارة ليست في ذاتها خيرًا ولا شرًّا.

(١) عبد الرحمن الشيخي: الفرق الدقيق بين الثقافة والحضارة كما يراه بيغوفتش في الحضارة الغربية.

(٢) عبد الرحمن الشيخي: الفرق الدقيق بين الثقافة والحضارة كما يراه بيغوفتش في الحضارة الغربية.

وعلى الإنسان أن يبني الحضارة تمامًا كما أن عليه أن يتنفس ويأكل. إنها تعبير عن الضرورة وعن النقص في حريتنا. أما الثقافة، فعلى العكس من ذلك: هي الشعور الأبدي بالاختيار والتعبير عن حرية الإنسان[١].

الحضارة تُعلَّم أما الثقافة فتُنوّر، تحتاج الأولى إلى تعلُّم، أما الثانية فتحتاج إلى تأمُّل.

الفرق بين الحضارة والمدنية

المدنية *Civilness*:

يعود هذا اللفظ (المدنية *Civilness*) إلى كلمة المدينة أو الحاضرة كما يسميها ابن خلدون. وقد ارتبطت بنظام الحكم اليوناني القديم: دولة المدينة، والذي شهد تطورًا مهمًا في دولة أثينا، حيث انتقل الحكم فيها من سلطة كبار ملاك الأرض إلى الحكم الشعبي، عبر مراحل وبعد تشكل طبقة التجار والعاملين في هذا القطاع الذين كان لهم الدور الرئيسي في هذا التحول، والذي كانت أهم مراحله مع «كليستنيس» الذي وضع دستوره الجديد على ثلاثة أركان رئيسية ٥٠٢-٥٠٣ ق.م[٢]:

١- إعادة تقسيم المجتمع الأثيني على أساس جغرافي مكاني بدلًا من التقسيم الإداري القديم الذي كان على أساس القرابة والدم. وأصبح هذا التقسيم قاعدة للتنظيم الإداري وللحقوق السياسية.

٢- بناءً على الرابطة المكانية الجديدة، أعيد تنظيم مجلس الشورى فأصبح يتكون من ٥٠٠ عضو بدل ٤٠٠ في التنظيم القبلي السابق.

٣- وضع قانون «النفي» الذي بموجبه أصبح الأثينيون يستطيعون نفي أي زعيم سياسي يرون فيه خطرًا على الديمقراطية بشرط أن يصدر ذلك الطلب عن ٦٠٠٠ من المجتمعين، ليصبح النفي قانونيًا ويدوم ١٠ سنوات.

فالمدنية إذن تعبر عن الانتماء للمدينة لا البادية أو الريف، وهو مدلول لنمط عيش، وسلوكيات، وعلاقات تختلف مع ثقافة الريفيين وسكان البادية.

---

(١) عبد الرحمن الشيخي: الفرق الدقيق بين الثقافة والحضارة كما يراه بيغوفتش في الحضارة الغربية.

(٢) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية.

وقد ظهر تعبير «المجتمع المدني *Civil society*» كمدلول حضاري مستحدث لعلاقة الأفراد في المجتمع فيما بينهم وعلاقتهم بالدولة. وقد تغير هذا المفهوم وتطور بدءًا بالأصول اليونانية الكلاسيكية، ومرورًا بالفكر القروسطي، وانتهاءً بالحداثة[١].

وقد نشأ هذا المفهوم مرتبطًا بالفلسفة السياسية اليونانية حيث يرى «سقراط *Socrates*» أن المشاكل يجب أن تحل بالنقاش وتبادل الرأي العقلاني بين الناس.

أما «أفلاطون *Plato*» فقد رأى أن المجتمع المدني هو المجتمع العادل الذي يسمح للجميع أن يعملوا لخدمة الصالح العام.

ولم يشذ المعلم الأول «أرسطو *Aristotle*» عن أستاذيه فهو يعبر عن المجتمع المدني بوصفه «جمعية جمعيات» ولم يميز بين الدولة والمجتمع المدني، ودعا إلى تكوين مجتمع سياسي تسود فيه حرية التعبير عن الرأي، ويقوم بتشريع القوانين لحماية العدالة والمساواة مجموعة سياسية تخضع لقوانين حسب قوله[٢].

أما المجتمع المدني في الفلسفة الأوروبية:

انطلاقًا من كون مصلحة المجتمع تتحقق من خلال عمل كل فرد على تحقيق مصلحته الخاصة عند الليبراليين، وانطلاقًا من مذهب علماني في موقفه من الدين، فردي في موقفه من المجتمع، رأسمالي في موقفه من الاقتصاد، ليبرالي ديمقراطي في موقفه من الدولة. وعلى التزام الدولة بعدم التدخل في الشؤون الخاصة للأفراد وتقليص دورها وحصره في السهر على تطبيق القانون وحمايته، فلا يجب أن يخرج مفهوم المجتمع المدني عن هذا السياق. فقد أكد «جون لوك» على قدرة الإنسان الكامنة في الدفاع عن نفسه وحريته وممتلكاته والقدرة على إلحاق الضرر بالآخرين، لذلك اقترح «لوك» ضرورة قيام المجتمع السياسي من سلطة تنفيذية وصلاحيات لمعالجة الخلافات وتنظيم حالة الفوضى وإيجاد الحلول للنزاعات التي تنشأ[٣].

أما «هيجل *Hegel*» فقد تناول مفهوم المجتمع المدني استنادًا إلى منهجه المثالي الجدلي القائم على اعتبار التاريخ مسرح لتطور الفكر المطلق، والدولة على أنها أرقى تمثيل

(١) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية.
(٢) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية.
(٣) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية.

للفكر المطلق، وإلغاء حرية الأفراد فيها باعتبارها مصدر الحريات، فهي تستوعب المجتمع المدني في داخلها كنفي جدلي لها، وانتهى إلى إلغاء الدولة للمجتمع المدني[١].

أما «ماركس *Marx*» في تفسيره للمجتمع المدني فقد ركز على العوامل المادية الاقتصادية وقلل من أهمية العوامل الفكرية والثقافية بناءً على الطابع التنافسي للمجتمع المدني بدل التكامل معتبرًا أن التاريخ نتاج لصراع الطبقات، والمجتمع المدني هو ساحة للصراع الطبقي.

ويعطي المعاصرون من نشطاء المجتمع المدني مفهومًا هجينًا للمجتمع المدني هو: «سلطة مضادة» ليست ضد ولا مع السلطة، تنشط باستقلال عن الدولة وليست باستقلال عن مؤسسات ودول تمولها وترسم لها خطط عملها، لا تخرج عن المفهوم الفلسفي الليبرالي للمجتمع المدني القائم على تلطيف الصراع الطبقي[٢].

(١) المرجع نفسه.

(٢) بشير العبيدي: المواطنة المعولمة أو المواطنة الكونية.

رابعًا
العلاقة بين فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ

تحديد مصطلح فلسفة الحضارة يقتضي إلقاء نظرة سريعة على الحقول المعرفية القريبة منها حتى يتضح المعنى أكثر، والأقرب إلى ذلك هي فلسفة التاريخ، وتاريخ الحضارة.

١- فلسفة التاريخ *Philosophy of History*:

فلسفة التاريخ أقرب إلى الفلسفة منها إلى التاريخ؛ ذلك لأن فيلسوف التاريخ يقوم باختزال العلل الجزئية للوقائع الفردية إلى علة واحدة، ثم يفسر في ضوئها التاريخ العالمي. فهذا ابن خلدون مثلًا: سيطرت عله فكرة التشابه بين الحضارة وحياة الكائن الحي فظهر ذلك في تصوره لمسيرة المجتمعات. وأصحاب نظرية العناية الإلهية سيطرت عليهم فكرة مفادها أن التاريخ مسرحية كتبها الله ويمثلها الإنسان، وسيطرت على ماركس فكرة دور الاقتصاد في توجيه سلوك الإنسان في التاريخ. ثم إذا كانت فلسفة الحضارة تنطلق من وقائع جزئية إلى أحكام كلية فإن فلسفة التاريخ تشهد عملية تنازلية عندما يخضع التاريخ لفكرة مسبقة لدى فيلسوف التاريخ، والذي يحاول جعل كل الأحداث التاريخية تتطابق معها. وربما لهذا تعرضت فلسفة التاريخ للنقد وخاصة ما صدر عن **بندتوكروتشه** الذي يرى أن فيلسوف التاريخ يكون خاضعًا لفكرة مسبقة لدرجة تجعله يصبغ التاريخ بلونها، وعندما يجد بعض الأحداث لا تتفق مع نظريته، فإنه إما يتجاهلها، أو يؤولها بما يتفق مع نظريته[١].

رغم هذا إلا أن هناك من يأخذ بالنظرية التي ترى أن التاريخ هراء (*History is a Bunk*)، وأن لا علاقة بين الأحداث وصاحبها كما يقول هنري فورد (١٨٦٣-١٩٤٧)؛ أي إن التاريخ غير مفهوم[٢].

---

(١) نبيل مسيعد: علاقة الفلسفة بالحضارة والتاريخ، *http://filosofia-nabilmeciad.eklablog.com/-c25859716*

(٢) حسني عايش: النظريات التي تفسر التاريخ، مجلة الغد، بتاريخ: ٢٠/ ٩/ ٢٠١٥. *https://alghad.com*

٢- تاريخ الحضارة *History of Civilization*:

أما تاريخ الحضارة: فهو عمل يقوم به المؤرخ وفق منهج تاريخي معين متطرقًا إلى الحضارات التي عرفتها البشرية في كل مكان وزمان مقتصرًا على عرض الأحداث بشكل كزونولوجي، متتبعًا أطوار الحضارة من البدايات إلى النهاية مع إمكانية الخوض في الأسباب والنتائج على أن لا يتجاوز ذلك إلى حد وضع قوانين كلية ثم يطبقها على كل الحضارات، لأنه في هذه الحالة يكون قد دخل في دائرة اختصاص فلسفة الحضارة[١].

حقًا «لا شيء أقوى من فكرة حان وقتها»، كما يقول فيكتور هيجو. لذا فإن تاريخ الحضارات هو تاريخ الأفكار، وكل أمة أو حضارة تطفو على سطح التاريخ تقدم فكرة خاصة أو روحًا فريدًا[٢].

٣- فلسفة الحضارة *Philosophy of civilization*:

نستخلص في فلسفة الحضارة من وقائع تاريخية جزئية معينة أحكامًا كلية. وبالتالي يكون منهجها استقرائيا يعتمد على النظر في الجزئيات لتشكيل تصور شامل وشأنها في ذلك شأن الفلسفة، لكن المسافة التي تفصل فلسفة الحضارة عن الفلسفة أبعد من المسافة التي تفصل بين فلسفة التاريخ والفلسفة، وبعدها النسبي عن الفلسفة لا يعني أنها اقرب إلى التاريخ[٣].

وإنما يسعى فيلسوف الحضارة إلى أن يحافظ على تواجده في الوسط بين الفلسفة والتاريخ، محاولًا أن يستمد الأمثلة من التاريخ معتمدًا على مناهج المؤرخين، ثم عندما يشرع في تفسير مسيرة الحضارات نجده يعتمد على مناهج وطرق الفلاسفة التي تنزع دائمًا إلى الكلية والتعميم، ولا تهتم بالماضي إلا بالقدر الذي يساعدها على استشراف المستقبل.

إن فلسفة الحضارة غير تاريخ الحضارة؛ لأنها لا تقتصر على عرض الوقائع وإنما تسعى إلى تعليل وتفسير هذه الوقائع ومحاولة الوصول إلى أحكام عامة في الحضارة يمكن تعميمها على الحضارات المتشابهة[٤].

---

(١) نبيل مسيعد: مرجع سابق.

(٢) قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، ص١٣١-١٣٢.

(٣) نبيل مسيعد: علاقة الفلسفة بالحضارة والتاريخ.

(٤) نبيل مسيعد: علاقة الفلسفة بالحضارة والتاريخ.

مثال:

عندما نقول أنجبت أثينا فلاسفة من أمثال سقراط، فنحن في إطار **تاريخ الحضارة**، لكن لو قلنا تنجب الديمقراطية الفلاسفة والمفكرين حينها نكون إزاء **فلسفة الحضارة**. وعندما نقول إن صولون لما حكم أثينا كان مهتمًا بالجوانب الاجتماعية للمواطنين وفي عصره أصبح متاحًا لكل مواطن الحق في التظلم ضد الولاة، هنا نحن بصدد **التاريخ**. لكن عندما نقول كانت سياسة حاكم أثينا تهدف لحماية المواطن نكون أمام **فلسفة الحضارة**[١].

هذا يعني أن فلسفة الحضارة لا تهتم بالجزئيات وكل وقائع التاريخ إلا بقدر ما يمكنها أن تضع قانون عام يمكن تطبيقه على الحضارات في أمكنة وأزمنة أخرى. ومن هنا قد تكون فلسفة الحضارة أشبه بعلم أصول الفقه الذي يضع القواعد الكلية التي يحتكم إليها الفقهاء عند التعرض للفتوى في المسائل الجزئية[٢].

وقد اتضح مما سبق أن الهدف من فلسفة الحضارة هو الوصول إلى تفسير لمسيرة الحضارات ووضع قوانين كلية وعامة تكون شاملة لكل الحضارات في كل مكان وزمان دون أن تكون خاضعة لفكرة مسبقة وإلا تحولت إلى فلسفة التاريخ. بل عليها أن تهتدي في أحكامها الكلية بما ينتج عن استقراء أحداث التاريخ ووقائعه الجزئية.

وفلسفة الحضارة ضرورية للشعوب المقهورة التي يمكن أن تساعدها في العثور على مفاتيح التقدم والإبداع الحضاري. لكنها من جهة أخرى قد تستغل من طرف القوى الامبريالية للتعرف من أجل اكتشاف مواطن الضعف لدى الشعوب المتخلفة ومن ثم تسهل عملية الهيمنة والاستغلال وإحكام السيطرة عليها[٣].

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) نبيل مسيعد: علاقة الفلسفة بالحضارة والتاريخ.